



دار المنهل

فطرة ماء تروي قصتها

تأليف
إبراهيم غرايبة
رسوم
مؤيد نعمة



اسْتَيْقَظَ خَالِدٌ فِي الصَّبَاحِ، وَحَمَلَ إِبْرِيْقَ الْمَاءِ لِيَسْقِيَ الْوُرُودَ فِي
الشَّرْفَةِ، فَلَا حَظَ قَطْرَاتِ مَاءٍ مُتَساقِطَةً عَلَى أَوْرَاقِ الْوُرُودِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ
يُلَاحِظْ أَثْرًا لِلْمَطَرِ، وَكَانَ الْفَصْلُ
صَيْفًا، فَتَعَجَّبَ كَثِيرًا وَقَالَ لِنَفْسِهِ:
مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ قَطْرَاتُ الْمَاءِ هَذِهِ؟



قَطْرَةٌ



شَرْفَةٌ



وَرْدٌ



إِبْرِيْقٌ

سَمِعَ خَالِدٌ قَطْرَةَ الْمَاءِ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ: مَرْحَبًا. أَنَا قَطْرَةُ نَدَى،
كُنْتُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ بُخَارًا فِي الْجَوِّ، وَعِنْدَمَا انْخَفَضَتْ
دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ بَعْدَ مُتْتَصِفِ اللَّيْلِ
تَحَوَّلْتُ إِلَى قَطْرَاتِ مَاءٍ سَائِلَةٍ،
وَسَقَطْتُ عَلَى وَرُودِكَ.



٣



سَائِلٍ



مِيزَانُ حَرَارَةٍ



بُخَارٍ



نَدَى

إِنَّ قِصَّتِي طَوِيلَةٌ جِدًّا لَا تَنْتَهِي ، وَلَوْ بَقِيتُ أَحَدُثُكَ عَنْ رِحَالَتِي
لَأَمْضَيْتُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً ، بَلْ أَيَّامًا
وَلِيَالِي . . كُنْتُ جَلِيدًا فِي أَقْصَى
الشَّمَالِ الْبَارِدِ ، وَعِنْدَمَا تَنْخَفِضُ
دَرَجَاتُ الْحَرَارَةِ كَثِيرًا
أَتَحَوَّلُ إِلَى كُتْلَةٍ جَلِيدِيَّةٍ
صَلْبَةٍ .



جَلِيدٌ

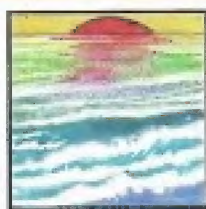
وَفِي الصَّيْفِ سَطَعَتِ الشَّمْسُ، وَبَدَأَ الثَّلَجُ يَذُوبُ وَيَتَحَوَّلُ إِلَى

سَائِلٍ، فَتَدَفَّقَتْ مَعَ قَطَرَاتِ الْمَاءِ فِي السُّيُولِ وَالْأَوْدِيَةِ، حَتَّى

وَصَلْنَا إِلَى بَحْرٍ وَاسِعٍ جِدًّا، وَصِرَتْ مَاءً مَالِحًا.



٥



بَحْرٌ



وَادٍ



سَيْلٌ



يَذُوبُ



ثَلَجٌ

وَتَبَخَّرَتْ بِسَبَبِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الدَّافِئَةِ، فَصِرَتْ بُخَاراً يَصْعَدُ فِي الْجَوِّ
عَالِياً، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى طَبَقَةٍ بَارِدَةٍ فِي الْجَوِّ، فَتَحَوَّلَتْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى
قَطْرَةِ مَاءٍ، وَكَوْنَتْ مَعَ رَفِيقَاتِي مِنْ قَطَرَاتِ الْمَاءِ غَيْمَةً كَبِيرَةً فِي الْجَوِّ،
مَلِئَةً بِالْمَاءِ الْعَذْبِ، لِأَنَّ الْمِلْحَ يَبْقَى فِي الْبَحْرِ وَلَا يَتَبَخَّرُ.



مِلْحٌ



غَيْمَةٌ

سَاقَتْ الرِّيحُ غَيْمَتَنَا إِلَى بِلَادٍ بَعِيدَةٍ، وَبَقِيَْنَا أَيَّامًا وَلَيَالِي نَسُحُ فِي الْفَضَاءِ،
وَتَنْضُمُ إِلَيْنَا قَطَرَاتُ مَاءٍ وَغُيُومٌ أُخْرَى، حَتَّى صِرْنَا غُيُومًا
مُتْرَاكِمَةً ثَقِيلَةً، لَا تَقْدِرُ الرِّيحُ
أَنْ تَحْمِلَهَا، فَسَقَطْنَا مَطَرًا
غَزِيرًا عَلَى الْجِبَالِ
وَالسَّهُولِ.



وَصَلْتُ إِلَى الْأَرْضِ، وَنَزَلْتُ فِي التُّرَابِ، فَلَقَيْتَنِي بِذُرَّةٍ مُلْقَاةٍ فِي
الْأَرْضِ، كَانَتْ حَبَّةَ شَعِيرٍ جَافَّةً، فَدَخَلْتُ فِيهَا، وَصَارَتْ بُرْعُمًا، ثُمَّ
سُنْبُلَةً مَلِيَّةً بِحَبِّ الشَّعِيرِ. وَبَقِيَتْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْحَبَّاتِ أَسَابِيعَ
عِدَّةً، وَكَانَتْ اسْتِرَاحَةً هَادِئَةً لِي.



سُنْبُلَةٌ



بُرْعَمٌ



شَعِيرٌ



بَذْرَةٌ



تُرَابٌ



وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ التَّقَطَ طَائِرٌ حَبَّةَ الشَّعِيرِ، وَطَارَ بِي بَعِيداً،
فَأَمْضَيْتُ فِي جَوْفِهِ سَاعَاتٍ، وَسِرْتُ فِي دَمِهِ، ثُمَّ خَرَجْتُ عَرَقاً
عَلَى رِيشِهِ، وَتَبَخَّرْتُ فِي الْجَوِّ مَرَّةً أُخْرَى حُرَّةً طَلِيقَةً.

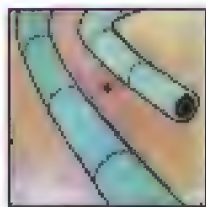
كَانَ الْجَوُّ حَارًّا، فَبَقِيتُ بُخَارًا فِي الْجَوِّ يَمْضِي بَعِيدًا، وَيَرْتَفِعُ فِي
السَّمَاءِ. ثُمَّ مَضَتْ بِي الرِّيحُ إِلَى جِبَالٍ عَالِيَةٍ بَعِيدَةٍ، يَنْبَعُ مِنْهَا نَهْرٌ
مَاءٌ كَبِيرٌ، وَالْأَمْطَارُ تَسْقُطُ هُنَاكَ كُلَّ يَوْمٍ، فَانْزَلْتُ إِلَى النَّهْرِ، وَسَرْتُ
فِي مَجْرَاهُ مَسَافَةً طَوِيلَةً. وَكَانَتْ رَحْلَةٌ جَمِيلَةً فِي
الْغَابَاتِ وَالْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ. لَقَدْ أَحْبَبْتُ
ذَلِكَ النَّهْرَ كَثِيرًا.



وَلَكِنْ سَعَادَتِي لَمْ تَدُمْ طَوِيلًا، فَقَدْ اعْتَرَضَ النَّهْرَ سَدٌّ هَائِلٌ، وَالْمَاءُ
وَالْأَنْهَارُ لَا تُحِبُّ السُّدُودَ. وَدَخَلْتُ فِي مَحْطَةٍ ضَخٍّ لِلْمِيَاهِ، تَسْحَبُ
الْمَاءَ فِي أَنْابِيبَ إِلَى الْمَدْنِ، وَسَرْتُ تَائِهَةً فِي شَبَكَاتِ الْمِيَاهِ، لَا أَعْرِفُ
إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ، حَتَّى وَجَدْتُ نَفْسِي فِي قَارُورَةِ مَاءٍ، وَشَرِبَنِي أَحَدُ
الْأَشْخَاصِ، كَانَ قَدْ أَكَلَ سَمَكًا كَثِيرًا،
وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْحُلُوبِ وَالْفَوَاكِه.



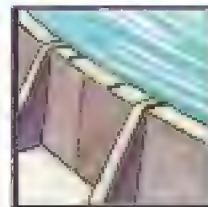
قَارُورَةٌ



أَنْابِيبٌ

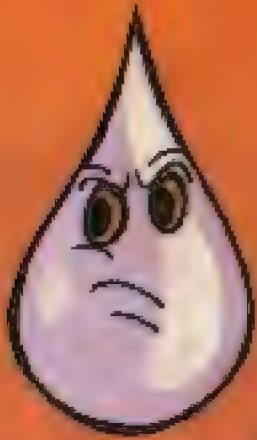


مَحْطَةٌ ضَخٍّ



سَدٌّ

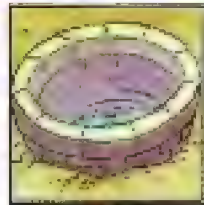
وَالنَّاسُ فِي الْمَدِينِ يَهْدِرُونَ كَثِيراً مِنَ الْمَاءِ، وَيَسْتَهْلِكُونَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ
حَاجَتِهِمْ، وَيُضَيِّعُونَ جُزْءاً كَبِيراً مِنْهُ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ، لِمَاذَا لَا تَحْفَرُ يَا
خَالِدُ فِي بَيْتِكُمْ بِشْرَ مَاءٍ؟ لَقَدْ أَمْضَيْتُ فِي الْمَدِينَةِ أَسْوَاً رِحْلَةً فِي
حَيَاتِي، حَتَّى سَقَطْتُ فِي شَبَكَةِ صَرْفٍ لِلْمِيَاهِ، وَاخْتَلَطْتُ بِقَاذُورَاتٍ
وَفَضَالَاتٍ وَمَوَادٍّ كَثِيرَةٍ.



فَضَالَاتٍ



شَبَكَةُ صَرْفٍ



بِشْرٍ



يَهْدِرُ الْمَاءَ



وَلِحُسْنِ حَظِّي فَقَدْ أَنْقَذَتْنِي شَجَرَةٌ «كَيْنَا» ضَخْمَةٌ،
كَانَتْ مَزْرُوعَةً فِي طَرِيقِ الْمَجَارِي، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ
يَزْرَعُونَ الْأَشْجَارَ الْحَرَجِيَّةَ فِي مَسَارَاتِ الْمِيَاهِ،
وَمَصَبَّاتِ مِيَاهِ الْمَجَارِي لَتَخَلَّصُوا
مِنَ التَّلَوُّثِ.



تَلَوُّثٌ



مَجَارِي الْمِيَاهِ



أَشْجَارُ حَرَجِيَّةٍ

وَهَكَذَا صَرْتُ قَطْرَةَ نَظِيفَةً، وَسَرْتُ فِي عُرُوقِ الشَّجَرَةِ الرَّائِعَةِ، ثُمَّ
وَصَلْتُ إِلَى أَزْهَارِهَا. وَجَاءَتْ نَحْلَةٌ فَحَطَّتْ عَلَيْهَا، وَأَخَذَتْ مِنْهَا
الرَّحِيقَ، وَمَضَتْ بِي مَعَ الرَّحِيقِ إِلَى طَرَفِ صَحْرَاءَ بَعِيدَةٍ لَا يَعْرِفُهَا
النَّاسُ. مَا أَجْمَلُ أَنْ تَكُونَ عَسَلًا يَا عَزِيزِي!



عَسَلٌ



صَحْرَاءُ



رَحِيقٌ



أَزْهَارٌ



عُرُوقٌ

كَانَ خَالِدٌ مُسْتَغْرِقًا، يَسْتَمِعُ إِلَى قَطْرَةِ الْمَاءِ وَقَدْ نَسِيَ نَفْسَهُ، حَتَّى أَيْقَظَهُ
صَوْتُ أُمِّهِ مُنَادِيًا: هَيَّا يَا خَالِدُ، تَعَالَ تَنَاوَلْ فُطُورَكَ لِتَذْهَبَ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ، لَقَدْ تَأَخَّرْتَ فِي الشَّرْفَةِ. رَجَعَ خَالِدٌ إِلَى الْغُرْفَةِ وَقَالَ لِأُمِّهِ:
أُرِيدُ أَنْ أَحْفَرَ بَثْرًا أَمَامَ بَيْتِنَا.

ضَحَكَتْ أُمُّ خَالِدٍ وَقَالَتْ: هَيَّا، لَا وَقْتُ لِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ.
وَمَضَى خَالِدٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَهُوَ
يُفَكِّرُ كَيْفَ يَحْفَرُ بَثْرًا لِجَمْعِ الْمِيَاهِ.





مَطَرٌ



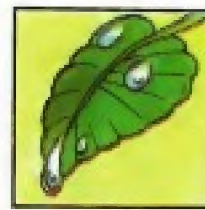
غَيْمَةٌ



ثَلْجٌ



سَائِلٌ



نَدَى



بُخَارٌ



قَطْرَةٌ



بَحْرٌ



نَهْرٌ



جَبَلٌ



سَهْلٌ



سَبِيلٌ



وَادٍ



إِبْرِيْقٌ



وَرْدٌ



قَارُورَةٌ



أَنْيَابٌ



صَحْرَاءُ



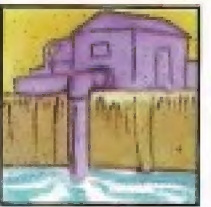
تَرَابٌ



مِلْحٌ



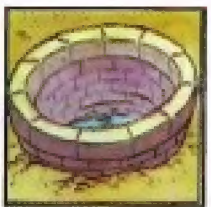
مِيزَانُ حَرَارَةٍ



مَحْطَةٌ ضَخٌّ



سَدٌّ



بُئْرٌ



سُنْبَلَةٌ



بُرْعَمٌ



شَعِيرٌ



بَذْرَةٌ



رَحِيقٌ



أَزْهَارٌ



عُرُوقٌ



فَضْلَاتٌ



تَلَوَّثٌ



مَجَارِي الْمِيَاهِ



شَبْكَةُ صَرْفٍ



أَشْجَارٌ حَرَجِيَّةٌ



يَهْدُرُ الْمَاءُ



يَذُوبُ



شُرْفَةٌ



عَسَلٌ